أولويات العمل الإسلامي
في الغرب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين سـيدنا ونبينا محمد المبعـوث رحمة للعـالمين، ونـذيراً وبشـيراً للنـاس أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد،،،،

فهــذا بحث متواضع كتبته على عجلة من أمــري، حــول أولويــات العمل الإسلامي في الغرب، وقد ضـمنته القضـايا الأساسـية الـتي يجب أن تـولى العنايـة، ويبـذل لها الاهتمـام من الأقليـات الإسـلامية الـتي تعيش في بلاد الغرب خاصة، وفي بلدان العالم عامة، وكذلك الواجب على المسلمين في كل مكان الذين يعيشـون أكثرية عددية في أقطـارهم نحو إخـوانهم الـذين ابتلوا بحياة الاستضعاف ويتعرضون إلى الفتنة في الـدين، وخطر التـذويب والانسلاخ من الإسلام، أو أخطار الإبادة والطرد والتشريد..

والله أسـأل أن يجعل هـذا خالصـاً لوجهه وأن يوفقنا جميعـاً إلى مرضـاته، وأن يـرد إلى أمة الإسـلام عزها ومكانتها في الأرض كلها لتكـون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى إنه هو العزيز الحكيم.

وكتبه

عبدالرحمن عبدالخالق

الكويت في 29من محرم الحرام 1414هـ

الموافــق 18من يونيــــو 1993م

* تعريف وتحديد:

المقصــود بــالغرب في هــذه الدراسة هــو: أوروبــا، وأمريكــا، ويمتد هــذا المفهوم كذلك للمستعمرات التي تقع في الشـرق، ونـزح الأوروبيـون إليها وجعلوها وطناً لهم، وأصبحوا الأغلبية السكانية فيها كأستراليا.

والمقصود بالأولويات في هذه الدراسة هـو: بيـان القضـايا الأساسـية الـتي يجب أن يتوجه إليها اهتمام الجاليات الإسلامية التي تعيش في هذه البلاد.

وكـذلك الواجبـات الملقـاة على المسـلمين في بلاد الإسـلام نحو إخـوانهم الذين يعيشون في بلاد الغرب.

وهـذه الأعـداد الكبـيرة من أبنـاء الإسـلام الـتي تعيش في الغـرب تتعـرض بحكم حياتها في بلاد الكفـار، وفي ظل القــوانين اللادينيــة، والمجتمعـات البعيــدة عن الإســلام إلى خطر التــذويب والمحو والانســلاخ عن الــدين الإسلامي عقيدة وشريعة، ولما كان الـواجب على أهل الإسـلام جميعـاً أن يتنادوا لنصرة الإسـلام في كل مكـان، ويعملـوا لتكـون كلمة الله هي العليا في الأرض كلها، وأن يتواصوا بالحق، والصبر بعد الإيمـان والعمل الصـالح، فــإن هــذه الدراسة هي من هــذا البـاب، نصـرة لقطــاع كبـير من الأمة الإسلامية يعيش حياة الاستضعاف.

الباب الأول: مقدمات

1- أهداف الرسالة الإسلامية الخالدة الخاتمة:

أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهـدى، ودين الحــق، من أجل أهداف، وغايات عظيمة، ونستطيع أن نجمل هذه الأهـداف، والغايـات فيما يلي:

أ- دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته:

وهذا هو الهدف والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، من ملائكــة، وجن، وإنس، وسماوات، وأرض، وما بث فيهما من دابـة، فلم يخلق الله شـيئاً إلا ليعبده ويوحده جل وعلا، كما قال سبحانه وتعـالى: {ألم تر أن الله يسـجد له من في السموات ومن في الأرض والشـمس والقمر والنجـوم والجبـال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليهم العــذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء}، وقال سبحانه وتعـالى أيضـاً عن الملائكـــة: {والـــذين عند ربك لا يســـتكبرون عن عبادته ويســـبحونه وله يســجدون}، وقــال ســبحانه: {وإن من شــيء إلا يســبح بحمــده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً..

ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتاب كما قال سبحانه وتعـالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رســولاً أن اعبـــدوا الله واجتنبـــوا الطـــاغوت}، ورسولنا صلى الله عليه وسـلم هو خـاتم الرسل الـذي أرسل الله سـبحانه وتعالى لتحقيق هذه الغاية، وهي دعوة الناس جميعـاً للـدخول فيما خلقهم الله من أجله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

ب- إقامة الحجة لله على عباده بالبلاغ المبين:

ولما كـان من سـنة الله في عبـاده ألا يهتـدي كل البشــر، بل بعض منهم فقــط، بل قليــل.. فــإن مهمة الرســول الأولى هي البلاغ فقط للكـافرين، والمعاندين، كما قال سبحانه وتعـالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نــوح والنبــيين من بعــده وأوحينا إلى إبــراهيم وإســماعيل وإســحق ويعقــوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً رسلاً مبشرين ومنـذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل وكـان الله عزيزاً حكيماً..}.

فقوله سبحانه وتعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرســل}، أي لئلا يحتجوا يوم القيامة لبقـائهم على الكفر أنهم لم يـأتهم نـذير.. فإرسـال الرسل قطع العـذر، والحجة الـتي يمكن أن يحتج بها الكـافر والمعاند يـوم القيامة.

وقد قال الله لرسوله محمد صـلى الله عليه وسـلم: {إن عليك إلا البلاغ}، وقال: {ما على الرسول إلا البلاغ}، وهذا في شأنه مع الكفـار فليس عليه إلا أن يبلغهم فقط، ويخبرهم بالذي أرسله الله بـه، ومـاذا يجب عليهم نحو الله سبحانه وتعالى، وماذا ينتظرهم إن هم أصروا على الكفر والعناد؟؟؟.

{قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين}، فهـذه الآية جمعت غاية الرســالة، وموضــوعها، وما يــترتب على طرفيها الرســول، والمرسل إليه،.. ومهمة الداعي هي البلاغ المبين، ومهمة المدعو هي المسارعة إلى طاعة الله، وطاعة رسوله، فإن تولــوا عن ذلك فقد ثبت في حقهم ما رتبه الله على المعانــدين، وهو قولــه: {قل ما يعبأ بكم ربي لــولا دعــاؤكم فقد كذبتم فسوف يكـون لزامـــاً}، -أي العـذاب- فالعـذاب لازم لكل من بلغته دعوة الرسول، ثم كذب بها.

ج- إخراج وتربية أمة مسلمة قائمة بأمر الله:

الهدف الثالث الذي من أجله أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم هو إخراج، وتربية أمة مسلمة قائمة بأمر الله تعالى، مقيمة لحدوده، كما قال سبحانه وتعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}.

وقد كان هذا تحقيقاً لدعوة إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام، حيث قالا وهما يرفعان أركان البيت في مكة: {ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم}.

وقد استجاب الله دعاءهم ببعثة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وأخرج على يده خير أمة أخرجت للناس، كما شهد الله لهم بذلك، حيث يقول: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}، ومدحهم في آيات كثيرة من القرآن، كقوله تعالي: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منه مغفرة وأجراً عظيماً}.

د- جعل دين الإسلام فوق كل الأديان:

والهدف الرابع الذي أرسل الله من أجله الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، هو جعل دين الإسلام الذي بعث به فوق كل دين إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً}، وقال أيضاً: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}، ومعنى يظهره: أي يجعله ظاهراً على كل الأديان، أي: غالباً.

وقد حقق الله سبحانه وتعالى ذلك على أتم الوجوه يوم كان المسلمون آخذين بأسباب النصر، والتمكين، فسقطت كل العروش، وتهاوت كل الديانات الباطلة، وعلا الإسلام فوقها جميعاً علواً بالحجة، والبيان أولاً، ثم بالسيف، والسنان ثانياً.

هذه باختصار هي الأهداف التي من أجلها أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.

2- وجوب تميز الأمة الإسلامية عن أمم الكفر:

وقد أوجب الله على أمة الإسلام أن يتميزوا بعقيدتهم، وصراطهم المستقيم عن أمم الكفر جميعاً كما علمنا الله سبحانه وتعالى أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة: {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}.

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون] ولما كانت عقيدة الإسلام التي بعث الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم هي العقيدة الحقة، وهي ذات العقيدة التي بعث بها جميع الرسل والأنبياء، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل ما يبعد عن دين الله.. وكان اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا الدين الذي بعث به موسى وعيسى عليهما السلام، فإن الله أوجب على أهل الإسلام ألا يتبعوا إلا ما جاءهم عن الله سبحانه وتعالى، وأمر الله رسوله أن يدعو أهل الكتاب للدخول في الدين الحق، دين الإسلام، كما قال تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}، وقال تعالى أيضاً: {فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق}، وقال تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام}، وقال تعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.

وقد شرع الله سبحانه وتعالى لأهل الإسلام أتباع محمد صلى الله عليه وسلم شريعة خاصة بهم في كل شأن من الشؤون، عبادة أو معاملة أو حداً.

ونهى الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام أن يأخذوا دينهم إلا مما أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}.

وعلى هذا فلا يجوز لأهل الإسلام أن يأخذوا دينهم إلا مما أوحاه الله على رسوله وعبده محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو الحق الذي لم تشبه شائبة ولم يتعرض لتحريف، أو تغيير، أو تبديل، كما قال صلى الله عليه وسلم: [لقد جئتكم بها بيضاء نقية].

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى هذا الدين القويم من أن تناله يد التحريف والتبديل، فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله إلى اليوم كيوم نزل، والسنة النبوية المطهرة محفوظة كذلك بحفظ الله الذي هيأ لها الحفظة الأمناء الذين نقلوها كما رأوها، وسمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة أنه لا يجوز للمسلمين طلب الهداية مما بأيدي اليهود والنصارى ولو نسبوه إلى كتبهم المنزلة لأنه لا يؤمن تحريفهم وكذبهم على الله، ومن أجل ذلك نهى رسول الله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن القراءة من التوراة لما رآه يقرأ منها شيئاً أعجبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أبهذا وأنا بين أظهركم لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو أن موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني].

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قد جاء بالدين الكامل الذي لم تدركه شائبة من تزيد أو تنقص، والذي نسخ الله به شرائع الأنبياء السابقين عليه،

ولو أن رسولاً منهم وجد بحضرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن الواجب عليه حينئذ أن يتبع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يحكم بالشريعة التي أنزلت عليه، ومن أجل ذلك فإن عيسى عليه السلام متى نزل من السماء حكم بشريعة القرآن، ولم يحكم بشريعة التوراة، والإنجيل، وهذا في مجال الهداية بالأديان السابقة المنزلة من الله سبحانه وتعالى.

وأما في مجال الاهتداء، أو التأسي، أو التعليم، أو المشاركة، للمشركين، والكفار في شيء من دينهم الباطل، أو عقائدهم الضالة التي جاء الإسلام بإبطالها فإن هذا كفر يخرج من الدين، فمن عظم ديناً غير دين الإسلام فقد كفر، ومن عبد غير الله فقد كفر، ومن اعتقد عقيدة تخالف عقائد الإسلام فقد كفر، وهذا لأن الحق لا يتعدد..

فتعظيم الصليب كفر، وتعظيم شعائر الكفر، كفر، أياً ما كانت هذه الشعائر أعياداً، أو مظاهر، أو طقوساً، أو احتفالات.

وقد أمرت هذه الأمة أن تتميز عن أمم الكفر في كل مناهجها وشرائعها، ومظاهرها وعاداتها، كما قال صلى الله عليه وسلم: [بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، ومن تشبه بقوم فهو منهم]. ولا شك في أن هذا التمايز والتغاير بين أمة الإسلام وأمم الكفر، سيمكنها من أن تحافظ على دينها، وعقيدتها ولا تذوب في الكفار، ويدخل إلى دينها وتشريعها ما ليس منه.

3- أسباب وجود الجاليات الإسلامية في الغرب:

لقد كانت هناك أسباب كثيرة لنشأة الجاليات الإسلامية في الغرب: (أوروبا، وأمريكا)، فالفتح الإسلامي في عهد الأمويين للأندلس كان أول انتقال للإسلام إلى أوروبا من جنوبها الغربي، وقد وصل المسلمون آنذاك إلى جنوب فرنسا ثم كان الفتح العثماني لشرق أوروبا حيث وصل العثمانيون إلى مدينة فينا عاصمة النمسا، وكان هذا هو الدخول العزيز للإسلام هناك، وقد أدى دخول العثمانيين إلى شرق أوروبا إلى انضمام عدد كبير من أهل دول البلقان (شرق أوروبا) إلى الإسلام بعدما فتح الأتراك العثمانيون هذه البلاد ومكثوا فيها زمناً طويلاً، ثم أجبروا أن يخلوا عنها بعد الحرب العالمية الأولى، ومأساة شعب البوسنة والهرسك التي نعيشها اليوم هي نتيجة لانحسار المد الإسلامي عن هذه الرقعة من أرض أوروبا، وبقاء تلك الأقليات الإسلامية في هذا المحيط الأوروبي الصليبي المعارض للإسلام.

ثم قد كان المسلمون هم أول من اكتشف أمريكا قبل أن يكتشفها كولمبس (بكل فخر واعتزاز، يذكر المسلمون أن أجدادهم الأوائل كانوا قد اكتشفوا أمريكا قبل أن يكتشفها كولمبس Columbus بفترة طويلة، وذلك عندما قطعوا المحيط الأطلسي من الأندلس سنة 1150م، ووصلوا إلى ما يعرف حالياً بالبرازيل، بل إن المؤرخ المسلم الشريف الإدريسي يذكر أن اكتشاف المسلمين لهذه القارة كان قد تم قبل هذا التاريخ، وذلك عندما أبحر ثمانية من المسلمين من لشبونة في القرن العاشر الميلادي،

محـاولين اكتشـاف ما وراء بحر الظلمـات، وهو الإسم الـذي كـان يطلقه المسـلمون على المحيط الأطلسـي، إلى أن نزلـوا في أمريكا الجنوبيـة. ويؤكد هذا الواقع مستشرقون كبـار، وفي كتابه (العــرب في أمريـــــكا) The Arabs In America يـذكر مهـدي Mehdi أنه سـنة 1539م اكتشف فراماركوس دي نايز Fra Marcos Nize المناطق المعروفة اليوم باسم نيو مكسيكو New Mexico وأريزونا Arizona، وكان مرشـده في ذلك مسـلم مغربي اسـمه أسـطفان، ولقد راح أسـطفان ضحية سـهم من أحد الهنـود الحمر، سكان أمريكا الأصليين، الذين لم يكونوا قد رأوا الرجل الأبيض بعد. د.كمال نمر/أصول التربية الإسلامية في أمريكا مجلة البحـوث الإسـلامية - صفحة243) ولكن الأوروبيـون هم الـذين سـبقوهم بـالهجرة إليهـا، وإقامة مستوطناتهم فيها، والمسلمون الذين هاجروا إلى أوروبا وأمريكا، كانوا في عـامتهم مهـاجرون من أجل الـدنيا، أو فـراراً بالـدين، فـالهجرة من بلاد الإسـلام إلى أوروبا وأمريكا منذ مطلع القـرن العشـرين، كـانت أهـدافها دنيوية، وقليل منها كان بسبب الاضـطهاد من الحكومـات الثورية والأحكـام الاستبدادية.

وعلى كل حال، فالهجرة إما أن تكون واجبة كالفرار بالدين من البلد الـذي يضطهد فيه المسلم، فيفر إلى بلد آخر يـأمن فيه على نفسـه، ودينـه، وإما أن تكون مستحبة كالهجرة لطلب العلم الشرعي، ونصـرة الـدين، وإما أن تكون مباحة وهي الهجرة لطلب الـدنيا، والسـفر من أجل الـرزق، وإما أن تكون حراماً إذا كانت إلى بلد لا يستطيع فيها المسلم أن يقيم شـرع اللـه، وإما أن تكون ردة وكفراً إذا التحق المسـلم بالكفـار وتـرك دينه وعقيدتـه، وبــاع دينه بالــدنيا. ولا شك أنه يوجد من المســلمين في بلاد الغــرب من هجرته واجبــة، ومن هجرته مباحــة، ومن هجرته إثم وحــرام، ومن هجرته ردة وكفر.

وعن جواز الهجرة إلى بلاد الغرب يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز:

"ومـتى عجز المسـلم عن إظهـار دينه في بلد إقامتـه، بحيث لا يـأمن على دينه وعرضه وماله، فإنه يجب عليه الهجرة إلى بلاد آمنة يستطيع أن يؤدي شعائر دينه بـأمن وراحة بـال عملاً بالآيـات، والأحـاديث الـواردة في ذلـك" (في كلمة بمناسـبة انعقـاد المـؤتمر العـالمي السـادس للنـدوة العالمية للشـباب الإسـلامي، مجلة البحـوث الإسـلامية –العـدد السـادس - صـفحة 346).

4- مستقبل الإسلام في الغرب:

يتناقض موقف الباحثين والـدعاة الإسـلاميين، حـول مسـتقبل الإسـلام في الغرب، فبينما يرى جمهور منهم أن الإسلام سيشـرق على العـالم كله من جديد، من أوروبا وأن الغرب سيعود إلى الدين الإسـلامي حتمـاً، وسـيمكنه رقيه المـادي، والحضـاري من نشر رسـالة الإسـلام في العـالم، وإخضـاعه تحت سلطان الإسلام.. فبينما يرى بعض الدعاة والباحثين المسلمين ذلـك، يرى آخرون أن الغرب عاش وثنياً صليبياً، وأنه سـيظل كـذلك، وأن رسـالة الإسلام لا يمكن أن تنطلق من هذا المستنقع الآسن.

فهذا -مثلاً- الأستاذ/ إسماعيل راجي الفاروقي - أستاذ الإسلاميات، وتاريخ الأديان- بجامعة ثمبل فيلادلفيا -في الولايات المتحدة- يرى أن أمريكا ستتحول يوماً إلى الإسلام حيث يقول: "حقاً إن أعظم فتح في التاريخ لهو الفتح الذي يدخل أمريكا في الإسلام، ولكن هل فتح هذا ممكن؟ هل يجوز لنا أن نأمل أن أمريكا، بكل ما لها من سلطة وديناميكية، بكل ما فيها من خيرات كانت بالفعل أم بالقوة، ستدخل يوماً ما في الإسلام، وتصبح ركناً من أركان دار الإسلام؟ هل يجوز لنا أن نتطلع إلى اليوم الذي يدخل فيه الشعب الأمريكي بمئات ملايينه في الإسلام فتصبح أمريكا دولة إسلامية وأرضاً تعلو فيها كلمة الله وشعباً يجاهد في سبيل الله، ويسير في خطى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؟ نعم، بالتأكيد هذه الرؤيا ليست فقط مرغوبة بل هي ممكنة بل ضرورية" (مجلة البحوث الإسلامية -العدد الثاني- صفحة591).

ولكن رجلاً آخر من العاملين في الحقل الإسلامي في أمريكا، والذي نال شهادة الدكتوراه في التربية من جامعاتها لعام 1983م، ويعمل في الأكاديمية السعودية في واشنطن وهو د.كمال كامل عبدالحميد نمر يقول: "أما أولئك الذين يطمحون أن تقام دولة الخلافة الإسلامية في أمريكا، وأن تنطلق راية الجهاد من هناك، فقد ضلوا الطريق، ذلك أن بالرغم من الحرية التي يعتقد المسلمون أنهم يتمتعون بها في أمريكا، لأنهم حرموا منها في كافة ديار الإسلام، فإن انطلاق دولة الإسلام من ذلك المستنقع لا يعدو أن يكون مجرد حلم لذيذ" (مجلة البحوث الإسلامية -عدد22- صفحة 250).

وبينما يعتمد الأستاذ الفاروقي في رؤياه أن أمريكا ستكون بالضرورة بلداً إسلامياً على إفلاس المسيحية، ثم إفلاس المادية أن تقدم للأمريكي تفسيراً صحيحاً للحياة منهجاً نظيفاً على الأرض، وبالتالي فإنه لا بد أن يحل الإسلام، فإن الدكتور كمال نمر يعتمد في رؤياه إلى استحالة قيام حكم، ونظام إسلامي في أمريكا لأن هذا المستنقع الآسن وهذه الشعوب الغارقة في الإثم، والفاحشة، والمادية من العسير أن تعرف طريقها إلى السماء.

ويقول د.كمال عبدالحميد نمر الحاصل على الدكتوراه في التربية من الولايات المتحدة: "إن انطلاق دولة الإسلام من ذلك المستنقع لا يعدو أن يكون مجرد حلم لذيذ" (أصول التربية الإسلامية في أمريكا - د.كمال عبدالحميد).

ويقول الداعية محمد وجدي الخالد، رئيس مركز الأنصار في ألمانيا: "إنطلاق الإسلام من الغرب هو مجرد سراب أو حلم يحلم به بعض الدعاة الذين ليس لديهم معرفة واسعة بالغرب، حيث يرددون باستمرار عبارة كنت أسمعها في ألمانيا، ثم أصبحت أسمعها في الدول العربية، وهي قولهم بأن الإسلام سينطلق من الغرب.. ومن جهتي أقول إن الغرب كان معقلاً للنصرانية، وعاد كذلك.. وعقلاؤهم يؤيدون مبدأ التعايش السلمي مع الأديان الأخرى" (من تقرير عن وضع المسلمين في أوروبا، مرفوع إلى جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت).

إن الأمور التي تحدو بكثير من الدعاة الإسلاميين أن يعتقدوا أن الغـرب قد أصبح قريباً جـداً من الإسـلام، هي رؤيتهم أن الغـرب قد أصـبح على شـفا الكارثة الأخلاقية والاجتماعيـــة، وأنه قد وصل القـــاع، ولا بد أن يبحث عن مخرج ولا مخـرج له إلا بالإسـلام، وكـذلك رؤيتهم تحـول كثـير من مفكـري الغرب إلى الإسلام، ومحاولاتهم تقديم الإسلام ليكون بـديلاً لنظـام الحيـاة السـائد في الغـرب، ومن هـؤلاء المفكـرين العظـام الـذين قـاموا بتقـديم الإسلام للغرب، د.مـراد هوفمــان –سـفير ألمانيا في الربـاط- والـذي كتب كتابه الفذ (الإسلام هو الحل البديل)، وقد أثار هذا الكتاب زوبعة كبـيرة في ألمانيا والغرب، ويقول د.مراد: "إنني أعتقد أن حركة تجديد الإسلام ستأتي في القرن الحـادي والعشـرين من أوروبـا" (د.مـراد هوفمـان -الإسـلام هو الحل البـديل- صـفحة247)، ومن قبله كـان إسـلام روجيه جـارودي حـدثاً عالميــاً هز أوروبا إذ رأوا تحــول علم كبــير من أعلام الماركســية والعلم المادي إلى الإسلام إنقلاباً هائلاً..

وأما الـذين يـرون أن الغـرب سـيبقى على كفـره وعنـاده وحربه للإسـلام وصـليبيته، فهو رؤيتهم للواقع السـحيق، والإباحيـة، والكفـر، والعنـاد الـذي يعيش فيه الغــرب، وأن نــداءهم للإســلام إنما هو نــداء من مكــان بعيــد: {أولئك ينادون من مكان بعيد}.

وأن صيحة الإسلام مهما علت فـإن آذان الغـرب صـماء عن سـماعها، وأن التراكمات الهائلة في فكر الغربي، والشـبهات الكثـيرة الـتي تملأ ذهنه عن الإسلام تجعله بعيداً كل البعد عن أن يسمع لنداء الحق.

وأقـول أيـاً كـان الأمـر، فـإن المسـلمين مـأمورون بحمل الـدعوة إلى كل مكان، ودعوة الناس جميعاً إلى الدخول في الدين الحق والرسالة الخاتمة إلى أهل الأرض، ونصر الله للإسلام لا يعرف من أين يـأتي؟ وقد أنـزل الله رسـالة على العــرب وهم أهل أمة لم يكن أحد يأبه بوجودها أو فقـدها، ثم كان من شأنهم أن جعلهم الله سادة الدنيا وحديث العالم، ولما تخلـوا عنها يوماً فإن عبيدهم ومماليكهم قـاموا يومـاً بنصر الإسـلام، ثم قـام الأتـراك، وكــانوا مجموعة من القبائل الرحل الــذي لم يكن لهم شـأن ولا ذكــر، ثم أصبحوا سـادة الـدنيا بالإسـلام قرونـاً متطاولة والله سـبحانه وتعـالى أعلم حيث يجعل رسالته، قال تعالى: {ولينصـرن الله من ينصـره إن الله لقـوي عزيـز}، وهو القائل سـبحانه وتعـالى للعـرب: {وإن تتولـوا يسـتبدل قومـاً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}.

وعلى كل حال، فإن في الغرب اليوم ملايين المسـلمين الـذين وجـدوا فيه لما أسلفنا من ظـروف وأحـوال وأسـباب وواجب الأمة الإسـلامية، نحـوهم كبــير، وواجبهم نحو أنفســهم كــذلك عظيم، كيف يحــافظون على دينهم وعقيدتهم وأمنهم وإسلامهم، بل كيف ينطلقون دعاة بهذا الدين..

وهذا هو الذي يجب أن توجه له الهموم، ونترك النتائج بعد ذلك لله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الباب الثاني: الأولويات

1. الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له:

أولى الأولويات التي يجب على المسلمين بالغرب -بل في كل مكان- التمسك بها هو الإيمان بالله وتوحيده، وذلك أن الإيمان بالله، وعبادته وحده لا شريك له هو الذي من أجله خلقنا الله سبحانه وتعالى، وهو ما يميز المؤمن عن الكافر وما كان هؤلاء المغتربون مسلمين إلا بإيمانهم وتميزهم عن الأمم الكافرة والمشركة التي يعيشون فيها، والإيمان هو طريق الفلاح، وصراط الله المستقيم، وهو اختيار الله اصطفاه لمن أنعم عليهم من البشر،.. ولذلك فإن من فرط في دينه من أجل دنياه، فإنه يكون قد فرط في حياته الحقيقية، وخسر الدنيا والآخرة.

إن قضية الإيمان بالله، يجب أن تكون الشغل الشاغل لكل مسلم، وأن يجعلها هي مدار حياته، وثمرة جهاده، ومنتهى أمله، وكل تطلعه، وهذا يعني أن يبيع كل شيء من أجلها، وأن يضحي بكل عزيز لينالها، ويحافظ عليها، وأن يترك كل شيء يتعارض معها ولو كان الأهل، والوطن، والمال، وكل عزيز.

ويكون الحفاظ على الإيمان بالله وتوحيده بما يأتي:

أ- بتعلمه:

الإيمان بالله علم وتصديق وعمل بمقتضى هذا العلم.. وأركان الإيمان ست هي: (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى)، وكليات هذا العلم، يجب على كل أحد تعلمها، والتفقه فيها وتعليمها ناشئة المسلمين ذكوراً وإناثاً.

ويجب أن يكون ذلك كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وكما كان اعتقاد الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم المشهود لهم بالخير، والذين رضي الله عنهم وأرضاهم، وأعز بجهادهم الإسلام.

وهذه أهم القضايا الأساسية لمسائل الإيمان:

وجود الله تعالى:

أن نؤمن أن الله هو الإله الحق الذي شهد بوجوده وربوبيته ووحدانية كل موجود.

توحيد الذات:

ونؤمن أنه سبحانه وتعالى بذاته فوق عرشه مستو على النحو الذي يليق بجلاله، كما مدح بذلك نفسه في سبع آيات من كتابه، وأن عرشه فوق سبع سماواته.

وأنه سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وأن صفاته كلها -كما هي أبدية- فهي كذلك أزلية ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء.

وأن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه شيئاً من مخلوقاته، قال تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأنه سبحانه وتعالى لا يحل في شيء من مخلوقاته، ولا يحل فيه شيء من مخلوقاته، وأن كل ما سواه فمخلوق بأمره خاضع لمشيئته.

توحيد الصفات:

وأنه سبحانه الحي القيوم بذاته، المقيم لكل ما سواه، فالعرش والكرسي والسماوات والأرض، وكل ما فيها لا قيام لشيء من ذلك إلا به، ولا بقاء لعرش ولا كرسي ولا سماء ولا أرض ولا ملائكة ولا جن ولا إنس إلا بإقامة الله لهم ورعايته وحفظه،.. فكل شيء مفتقر إليه..

وأنه سبحانه وتعالى العليم الخبير، الذي يحيط علمه بالأولين والآخرين، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه ما من حركة ولا سكون، إلا وقد علمه قبل وقوعه ويعلمه حال وقوعه، وأنه سبحانه لا يضل ولا ينسى.

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء ومليكه والمتصرف فيه، وأنه لا شريك له في ملكه، ولا ظهير له ولا معين له من خلقه.

وأنه سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وتنزه عن الظلم والجور.

وأنه سبحانه وتعالى العليم الحكيم، الذي يضع كل أمر في نصابه والذي لا يفعل شيئاً سدى وعبثاً.

ونؤمن أن ربنا سبحانه وتعالى يحب ويرضى، ويفرح ويضحك، وكذلك يسخط ويمقت ويكره ويغضب وفي كل ذلك لا يشبه شيئاً من خلقه.

وأنه سبحانه وتعالى يلطف ويرحم، وينجي عباده المؤمنين، كما أنه يخذل ويعذب وينتقم ويستدرج، ويمكر بعبيده الظالمين.

ونؤمن أنه سبحانه وتعالى يتكلم كما يشاء، كما قال: {وكلم موسى تكليماً}، وينزل ويقترب من عباده كما يشاء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا عند ثلث الليل الآخر]، وأنه له وجهاً قال تعالى: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}، ويداً: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} وقدماً، قال صلى الله عليه وسلم: [فيضع رب العزة قدمه فيها]، وساقاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يكشف ربنا عن ساقه]، وأن صفاته سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين.

ونؤمن أنه سبحانه وتعالى القوي العزيز وأنه على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء، ولا يؤوده حفظ السموات والأرض، ولا حول ولا قوة لأحد ولا لشيء إلا به سبحانه، وأنه الفعال لما يريد.

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو البر الكريم ذو الفضل والإحسان، الذي ما نعمة إلا هي منه، وما من عطاء إلا وهو من عنده، وأنه لا راد لإحسانه ولا ممسك لفضله.

ونؤمن أن الله سبحانه أعظم وأجل من أن يحيط أحد من خلقه علماً به قال تعالى: {ولا يحيطون به علماً} وأنه ليس بعد سلطانه سلطان، ولا بعد ملكه ملك، وأنه لا يستطيع أحد أن يثني عليه كما أثنى هو على نفسه، ونؤمن أنه لا يعلم الله على حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى.

حكمة الخلق:

ونؤمن ونشهد أن الله سبحانه وتعالى ما خلق من ملائكة وجن وإنس وسماوات وأرض، إلا ليعبدوه ويسبحوه، وأنه ما من شيء إلا وهو يسبح بحمده ويقدس له بلسان مقاله أو بلسان حاله.

ونشهد أن كل من تأبى عن تقديس الله وعبادته من ملائكة أو جن أو إنس يطرده الله ويلعنه كائناً من كان، وأن من نازع الله في ألوهيته ودعا إلى عبادة نفسه أو عبادة غير الله يلعنه ويعذبه قال تعالى: {ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين}.

ونؤمن أن العبادة التي لا يقبل الله من أحد غيرها هي الطاعة المطلقة لله سبحانه فيما عقل معناه، وما لم يعقل معناه، مع كمال الذل والخضوع والحب لله سبحانه.

ونؤمن أن الدين الذي لا يقبل الله سواه من ملك أو جن أو إنس هو الإسلام قال تعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}، والإسلام هو الاستسلام لله بالطاعة والخضوع.

ونشهد أنه سبحانه لما خلق الخلق جعل لكل شيء قدراً ومقداراً ومنزلة، فللملائكة أقدارهم ومنازلهم، وللجن كذلك وللإنس كذلك، وأوجب على كل أحد أن يلزم قدره ومقداره ومنزلته.

ونشهد أنه سبحانه وتعالى أمر الجن والإنس بعبادته، ولم يخلقهم إلا من أجل هذه العبادة، وأنه ابتلاهم بالخير والشر، واختبر طاعتهم، وأن الجن والإنس كذلك، وأوجب على كل أحد أن يلزم قدره ومقداره ومنزلته.

ونشهد أنه سبحانه وتعالى أمر الجن والإنس بعبادته، ولم يخلقهم إلا من أجل هذه العبادة، وأنه ابتلاهم بالخير والشر، واختبر طاعتهم، وأن الجن والإنس كل منهم يكسب الخير والشر باختيار نفسه ولكن أحداً منهم لا يوقع الخير إلا بتوفيق من الله وإعانة، ولا يوقع الشر جبراً على الله ولكن في إطار إذنه ومشيئته.

ونشهد أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من طين هذه الأرض بيديه سبحانه، خلقاً مستقلاً، وأمر هذه جبريل الذي هو روح الله أن ينفخ فيه فصار بشراً بنفخة جبريل، وأن ذلك كان في السماء، وأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس الذي أبى استكباراً وكفراً وعناداً لذلك طرده الله من رحمته، وحذر آدم منه.

ونشهد أن الله خلق حـواء من ضـلع آدم، وجعلها زوجة لـه، واختبرهما الله بـأن يـأكلا من كل ثمـار الجنة إلا شـجرة واحـدة، فـأكلا منها فأهبطهما إلى الأرض ليعمراها بنســلهما جيلاً بعد جيل وليختــبرهم فيها بالطاعة والإنابة والإسلام له، فمن أطاع أرجعه إلى الجنة ومن عصى فمصيره إلى النار.

توحيد الألوهية "القصد والطلب":

ونشـهد أنه لا يبلغ عبد التوحيد الخـالص إلا إذا كـانت محبته ورغبته وخوفه وخشـيته وتعظيمه لله عز وجل أعظم من كل مخلـوق، وإلا إذا كـان توكله على الله وحده، وحسبه لله وحـده (الحسـب: الكفايـة، وحسـبي الله ونعم الوكيل، بمعنى الله يكفيني كل ما أهمني).

ونشـهد أن الركـوع والسـجود والـذبح والصـوم والنـذر والحلف كل ذلك لا يجوز إلا لله ومن صرف شيئاً من ذلك لغيره فقد أشرك.

ونشهد أنه لا طـواف إلا بـبيت اللـه، وتقبيل -عبـادة- إلا للحجر الأسـود، ولا شد رحال -عبادة- إلا للمسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسـلم والمسجد الأقصى.

ونشهد أنه من أتى كاهنـاً أو عرافـاً فصـدقه بما يقـول، فقد كفر بما أنـزل على محمد، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى اطلاعـاً على الغيب أو اللوح المحفوظ فهو كافر مشرك.

ونشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد، وسد كل الذرائع الموصلة إلى الشرك، فحرم بنـاء المسـاجد على القبـور، ونهانا أن نطريه كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ونهى عن الصور والتماثيل.

ونشـهد أن الكرامة حق لعبد صـالح مـؤمن، وأن خـرق العـادة قد يكـون للفسقة والمجرمين، كما هو للـدجالين والكـذابين، ومن علم حقيقة الـدين استطاع أن يفرق (بين أولياء الله وأولياء الشياطين).

ونـؤمن أن لله سـبحانه وتعـالى الكبريـاء العظمة والمجـد، وأن سـبحانه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يتألى عليه، ولا يتنازع في كبريائه وعظمته ولا يعقب على أمره وحكمه.

توحيد الحكم والملك:

ونؤمن أن أخبار الله كلها صـدق، وأحكامه كلها عـدل قـال تعـالى: {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً}.

ونشـهد ونـؤمن أن لله الخلق والأمـر، وأن الحكم له وحـده، وأنه هو الـذي يشــرع لعبادته ويــأمر وينهى، أن من نــازع الله في شــيء من ذلك فقد أشرك.

ونشهد أن كل من أطاع سيداً أو أميراً أو حاكماً في غير طاعة الله، مريداً لذلك راغباً عن طاعة اللـه، فهو كـافر مشـرك، وأنه لا طاعة لمخلـوق في معصية الخالق.

الإيمان بالملائكة:

ويشهد أهل السنة والجماعة، ونشهد معهم ونؤمن بحول الله وقوته:

أن الملائكة خلقهم الله من نـور وأقـامهم في طاعته وعبادته قـال تعـالى: {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون}.

وأن الله سـبحانه وتعـالى يبعثهم ويقيمهم في أعمـال كثـيرة عـدا التسـبيح والتحميد له، كإرسال رسالاته إلى رسله من البشر، وتثـبيت المؤمـنين في القتال وإحصـاء أعمـال النـاس خيرها وشـرها، وحفظ البشر من الحـوادث الـتي لم يـرد الله أن يصـابوا بهـا، وقبض الأرواح وسـوق السـحاب ونفخ الـروح، وغـير ذلك مما بينه الله في كتابه وعلى لسـان رسـوله صـلى الله عليه وسلم.

ونحب الملائكة ونـؤمن بهم لمحبتهم للمؤمـنين ودعـائهم لهم، ولإشـراكنا معهم في الإيمـان بالله وتعظيمه وتقديسـه، ولا نفـرق بين ملك وملك كما فعلت اليهود بل نحبهم لطاعتهم لربهم وسيرهم في مرضاته.

الإيمان بكتب الله:

ونشهد ونؤمن أن الله سبحانه أنزل كتباً وصـحفاً على رسـله، وأنها جميعـاً عند تنزيلها منزهة من العيب والنقص والغلط لأنها كلام اللـــه، ونشـــهد أن كل الكتب السابقة على القـرآن حرفها أهلها وغيروهـا، عـدا القـرآن الـذي حفظه الله من التغيـير والتبـديل وسـيبقى كـذلك إلى قـرب قيـام السـاعة فضلاً من الله ورحمة حيث يرفعه الله من الأرض.

ونشهد أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كلام الله حقـاً وصــدقاً ليس بمخلــوق، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه، وأنه معجزة حية باقية تحدى الله به الأولين والآخرين أن يأتوا بسورة مثله بيانـاً وبلاغة ومعنى وأحكاماً وأن أحداً مهما أوتي من العلم والفصاحة والبيـان لا يأتي بذلك..

ونشـهد أن الله قد أنـزل القـرآن تبيانـاً لكل شـيء مما يصـلح النـاس في دنيـاهم وأخــراهم، وأنه لا خلاف بين آياتــه، أن الله تعبــدنا بتلاوته وتـدبره، وجعل خيرنا من تعلمه وعلمه.

الإيمان برسل الله:

ونشهد أن الله سبحانه وتعالي اختار من البشر أنبياء ورسلاً لهداية النــاس ودعـوتهم إلى طريق اللـه، وأن أولهم آدم وآخـرهم وخـاتمهم محمد صـلى الله عليه وسلم وأنهم جميعـاً إخوانه في الـدين، دعـاة إلى رب العـالمين، وإن اختلفت شرائعهم فعقيدتهم واحدة.

ونشهد أن جميع الرسل معصومون عن الكذب على الله أو الحكم بالهوى، أو الوقــوع في الفــواحش أو الزيــادة والنقص في الـدين وأنهم مسـددون دائمـــاً من الله في اجتهـــادهم وأن الله لا يقـــرهم على خطأ أخطـــأوه باجتهادهم.

ونشهد أن هؤلاء الرسل بشر مثلنا، خلقوا من طين الأرض وليس منهم من خلق من نور الله أو نور عرشه، كما يقول كفـار المسـلمين في شـأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أو من كلمة الله كما يقول كفار النصارى في شـأن عيسـى، وأنهم يموتـون كما يمـوت البشـر، وينسـون ويمرضـون ويتألمون ويكابدون كما يكابد البشر.

ونؤمن أن الرسل ما شرفه الله إلا لتحقيقهم العبودية لله في أنفسهم فهم أكمل المؤمنين إيماناً وأعظمهم لله خشية، وأعلمهم به وأنه ليس منم من أحد دعا الناس إلى تعظيمه وعبادته، بل دعوا جميعاً إلى عبادة الله وحده.

ونشـهد أن الرسل لا يعلمـون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ونشـروه في الناس وأنهم لم يكتموا شيئاً مما أوحاه الله إليهم.

ونشهد ونؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خـاتم الرسل وسـيدهم وأفضـلهم عند اللـه، وأعلاهم منزلة بلغ البلاغ المـبين، ولم يكتم شـيئاً مما أوحاه إليه رب العالمين.

ونشهد ونؤمن أن أحداً من الناس لا يؤمن إيماناً كـاملاً إلا إذا أحب رسـول الله أكـثر من حبه لأبويه وأولاده ونفسه الـتي بين جنبيـه، وعـزر (تعزير الرسـول نصـره، والجهـاد معه والـدفاع عن حـوزة الـدين الـذي جـاء بـه) الرسول ووقره واتبع ما جاء به وقدم طاعته على طاعة كل مخلوق.

ونـؤمن بشـفاعة الرسـول العظمى يـوم القيامـة، حيث يشـفع للنـاس في فصل القضاء، وخروج الناس من المحشر، وحيث يأذن الله له فيمن يشفع فيهم من المؤمنين فيدخلون الجنة.

ونشهد أن شفاعة الرسول حق لعصاة المؤمنين، ونقر ونشهد أن الرسـول لا يشفع إلا لمن أذن الله له.

ونؤمن أن محمـداً صـلى الله عليه وسـلم قد أرسـله الله إلى النـاس كافة عربهم وعجمهم منذ بعثته وإلى قيام السـاعة، وأنه رسـول الله إلى الإنس والجن جميعاً.

ونؤمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثبتت له المعجزات الباهرة والبراهين الناصـعة على صـدقه وأمانتـه، فقد أنـزل عليه القـرآن المعجـز، وأسرى به إلى القدس من مكة في ليلة واحدة، ويشهد المؤمنون أنه عرج به إلى السـماء في ليلة الإسـراء، وشـاهد الملائكة والمرسـلين وكلمهم وكلمه الله سبحانه وتعالى وأكرمه وفرض عليه وعلى أمته خمس صـلوات في اليوم والليلة.

ونشـهد أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم قد نبع المـاء من بين أصـابعه وأطعم المئـات من النـاس بطعـام لا يكفي العشـرات، وحن الجـذع إليـه، وسبح الحصى والطعام في يديه، واشتكى إليه البعير.

ونؤمن بما فضل به محمداً صـلى الله عليه وسـلم على الأنبيـاء، وما خصه به من النصر بـالرعب، وإحلال الغنـائم وجوامع الكلم (أي أن الكلام اختصر له اختصاراً فيستطيع أن يعبر عن المعـاني الكبـيرة بجمل قصـيرة)، وجعل

الأرض مسجداً وطهوراً، وبعثه إلى الناس كافة، وختم النبيين به، ونشهد أن حوض الرسول حق، ونسأل الله أن يسقينا منه.

الإيمان باليوم الآخر:

ونؤمن أن الله قد جعل لكل نفس أجلاً وللحياة على الأرض أجلاً تنتهي فيه بالنفخة الأولى في الصور، ثم ينفخ فيه نفخة أخرى فيقوم الناس لرب العباد لفصل القضاء بينهم.

ونشهد أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وباقيتان أبداً وسرمداً، وأن أهل الجنة داخلوها ولا شك يوم القيامة وأهل النار مواقعوها ولن يجدوا عنها مصرفاً.

ونشهد أن الله يخرج عصاة المؤمنين من النار الذي يدخلونها بسبب معاصيهم التي لم يغفرها الله لهم، ولم يكفرها عملهم الصالح.

ونؤمن بأن نعيم الجنة حق فإنه نعيم حسي ومعنوي، وأنهما كما وصف الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ونشهد أن أهل الجنة واجدون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونسأل الله أن يجعلنا منهم، وأهل النار واجدون فيها من العذاب والآلام ما لم يخطر ببالهم، وأكبر مما توهمه عقولهم قال تعالى: {فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد}، ونسأل الله ألا يجعلنا معهم.

ونؤمن بأن من مات من أهل الجنة فإنه ينعم في قبره، ومن مات من أهل النار فإنه يعذب فيه فنعيم القبر وعذابه حق، وسؤال الملكين في القبر بعد الدفن حق.

ونؤمن ونشهد أن بيننا وبين الساعة علامات كبرى وصغرى، ذكر الله بعضها في كتابه وفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابه، وأن من العلامات الكبرى الدابة، والدجال، ويأجوج ومأجوج، ونار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر، ونزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء في دمشق حيث يحكم بالقرآن ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

ومن العلامات الصغرى: تقارب الزمان، وظهور الفتن والقتل، وكثرة النساء وقلة الرجال، وقتال المسلمين لليهود حتى يقول الحجر والشجر، كما ورد في الحديث: [يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله]، واتفاق المسلمين والنصارى على قتال قوم كفار من دونهم، ثم قتال المسلمين للنصارى وانتصار المسلمين عليهم.

ونؤمن أنه لن تقوم الساعة حتى تفتح روما كما فتحت القسطنطينية، وحتى يخرج المهدي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان يواطئ اسمه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم واسم أبيه عبدالله، وأنه ليس المهدي الذي زعمته الشيعة في محمد بن الحسن العسكري.

ونؤمن بأن يـوم القيامة طوله كخمسـين ألف سـنة من سـني الأرض، وأن النــاس يقومــون فيه لــربهم لفصل القضــاء بينهم، وأنهم يتفــاوتون في المحشر حسب إيمـــانهم ودرجـــاتهم وأن المـــيزان حق والصـــراط حق والحوض حق، وشفاعة سيد المرسلين حق، وشفاعة الشافعين حق.

الإيمان بالقضاء والقدر:

ونـؤمن ونشـهد أن الله سـبحانه وتعـالى خلق كل شـيء بقـدر وأنه كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأنه ما من شيء يقع في السـموات والأرض إلا وعلمه الله وقـدره قبل أن يقع ولا يعزب عن علم الله شيء.

ونشهد أن أهل السعادة قد سجلت لهم السعادة وأهل الشقاوة قد سجلت لهم الشقاوة وأن كل ذلك لا يتغير ولا يتبدل وأنه قد جفت الأقلام وطـويت الصحف ولا تبديل لكلمات الله.

ونشهد أن الخير والشر بتقدير الله ومشيئته، وأن كل إنسان يكسب الخـير والشر باختياره، ومشـيئته، ولكن لا يوقع الخـير إلا بتوفيق من الله وإعانـة، ولا يوقع الشر جبراً على الله ولكنه في إطار إذن الله ومشيئته.

ولا نقول كما قـالت الجبرية ليس للإنسـان فعل وإن الإنسـان مجبـور على عمله ولا خيـار لـه، ولا نقـول كما قـالت القدرية أن كل إنسـان يخلق فعله يختار عمله وأن اختيار الله له تابع لاختيار الإنسان.

ب- معرفة الفـروق بين عقيـدة التوحيـد، وما يضـادها من عقائد الشـرك والوثنية والإلحاد:

ومما يقوي عقيدة التوحيد والإيمان بالله، معرفة الفروق بينهما وبين عقائد الشـرك والوثنية والإلحـاد، وخاصة العقائد المعاصـرة منهـا، والـتي يقـوم أربابها بترويجها ونشرها وحرب الإسلام بها.

فلا بد للمسلم وخاصة من يعيش بين ظهراني الكفار أن يعـرف عقائـدهم، ليعـرف الفـرق بين عقيـدة التوحيد الـتي يـؤمن بهـا، وما عليه هـؤلاء المشـركون والملحـدون وذلك وقاية له أن يقع في ضـلالهم، ودفعـاً لشبهاتهم ورداً لباطلهم لأنه لا بد وأن يتعرض لمن يدعو منهم إلى أديـانهم الباطلة (ومن أجل ذلك ألحقت هذه المذكرة بمذكرة أخرى توضح العقيـدة النصرانية توضيحاً كاملاً، وتقيم الدليل الـذي لا يمكن دفعه أنه عيسى عليه السلام لم يكن إلا رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، كما جـاء في القرآن، وكما هو موجـود في الأناجيل الـذي يعتمـدها النصـارى اليـوم، وأرجو ألا يقرأ هذه المذكرة مسيحي يريد الحق إلا واهتدى إلى الإسلام).

وقد يفتن بما هم عليه من منـاهج وطرائق في الحيـاة، فيستحسن ما عندهم، وقد يظن أن نجاحهم في الدنيا دليل على صحة معتقدهم، وسلامة أديـانهم، ومن أجل ذلك وجب معرفة الشر لتوقيـه، بل الكفر بالطـاغوت مطلوب لذاته، ثم لما يميز به الحق كما قال تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويـؤمن بالله فقد استمسك بـالعروة الـوثقى لا انفصـام لها والله سـميع عليم}.

لذلك وجب على كل مسلم يعيش مع الكفار أن يتعلم بحسب طاقته، كيف يرد على باطلهم، وكيف يتقي شر عقائدهم الباطلة، ودينهم المخالف لدين الإسلام.

ج- إحياء الإيمان في القلب بالعمل الصالح:

والإيمان يقـوى بتضـافر الأدلـة، وزيـادة العلم، ويحيا بالعمل الصـالح، فمثل الإيمان في القلب كالنبتة يسقيها العمل الصالح وينميها، فـإذا لم تجد عملاً ذبلت وماتت، فالصلاة، والصوم، والزكـاة، والحج، والـبر، والصـلة، والـتزام آداب الإسـلام وأخلاقه وشـرائعه، هي ترجمة الإيمـان الموجـود في القلب إلى أعمال الجوارح ويزداد الإيمان في القلب بازديادها، ويقل نوره ويذهب بذهابه، ولذلك فلا بد لكل مسلم أن يحيي إيمانه بالعمل الصـالح، وإلا ذهب إيمانه ومحيي من القلب.

ومعلـوم أن الإيمـان قـول باللسـان، وتصـديق بالجنـان، وعمل بـالجوارح، والعمل لا شك من مسـمى الإيمـان كما قـال صـلى الله عليه وسـلم: [الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان].

2- تعزيز الانتماء والموالاة لأمة الإسلام، والبغض والمعاداة لأمم الكفر:

من لوازم الإيمـان بالله سـبحانه وتعـالى، مـوالاة كل مـؤمن، ومعـاداة كل كافر فأمة الإيمان أمة واحدة منذ آدم -عليه السلام- وإلى آخر مـؤمن على الأرض، فالرسل جميعاً جاءوا بدين واحد من الله يدعون الناس إلى عبـادة ربهم وحـــده لا شــريك لـــه، وكل من آمن بهم فقد دخل في هـــذه الأمة الواحدة كما قـال سـبحانه وتعـالى: {إن هـذه أمتكم أمة واحـدة وأنا ربكم فاعبـدون}، وكل كـافر بالله مشـرك بـه، فهو عـدو لله لأنه أطـاع أعـداءه إبليس وجنوده، وكل من أطـاع عـدو الله فهو عـدو للـه، كما قـال سـبحانه وتعالى: {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عـدو بئس للظـالمين بـدلاً}، فكل من اتخذ الشـيطان وليـاً فقد جعله الله عـدواً، وكل من دخل في عـداوة الله فلا يجـوز لمـؤمن موالاته ولا محبتـه، كما قـال سـبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء}، وقـال أيضـاً: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حـاد الله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم..}.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء نموذجـاً ومثلاً لكل مؤمن بعده، وذلك في تبرئه من قومه وأهله الكفار، واعتصـامه بولاية المؤمنين معه فقـط، علمـاً أنه لم يكن معه مـؤمن غـير زوجته وابن أخيه، كما قال سـبحانه وتعـالى: {قد كـان لكم أسـوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معه إذ قـالوا لقـومهم إننا بـرؤاء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـداً حـتى تؤمنـوا بالله وحده..}، فلا يجوز لمؤمن أن يوالي، ويحب وينصر إلا إخوانه المؤمنين، ولا يجـوز له مـوالاة أعـداء الله من الكـافرين والمنـافقين، بل من اتخذ أعـداء الله أولياء له فقد خرج من الإسلام كما قال تعالى: {يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتـولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظـالمين}، والآيـات في هـذا المعـنى كثـيرة جداً.

3- وجوب اتباع شرائع الإسلام:

من الأولويات التي يجب أن توجه الأنظار إليها وأن يكون الإهتمام بالغاً بها هو استقلال المسلمين بشريعتهم التي أكرمهم الله بها عن اتباع شرائع الشيطان التي شرعها لأوليائه، ومن هذه الشرائع التي شرعها الله لعباده:

أ- إقامة الصلاة:

وأولى الأولويات في اتباع ما أنزله الله لأهل الإسلام، هو الصلاة التي يجب أن يحرص عليها كل الحرص، لأنها هي الفارق بين المسلم والكافر، كما قال صلى الله عليه وسلم: [بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة]، ولما كانت الصلاة تجب لها الجماعة، وجب الحرص على بناء المساجد، وإظهار شعائر الإسلام بالأذان، وحضور الجماعات، كما قال تعالى: {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار}، فيجب على المسلمين في الغرب المسارعة إلى بناء المساجد في كل مكان يتواجد فيه المسلمون، وإعلاء الأذان ما أمكن ذلك، وحضور الجمع والجماعات، وجعل هذه المساجد هي المنتديات والمدارس وأماكن التعارف، ونشأة الروابط والمحبة بين أهل الإسلام، وعلى المسلمين في العالم أجمع، مساعدة إخوانهم المسلمين في الغرب بزرع المساجد في كل مكان، وإحيائها بالأئمة الصالحين، والدعاة المتفرغين، والمعلمين العاملين وإضافة الملاحق والمرافق المساعدة لذلك بالمسجد كالمكتبة، وبيت الضيافة الذي يقابل الصفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورياض الأطفال، والفصول الدراسية، وبعض الخدمات الأخرى التي يحتاجها أهل الإسلام في هذه الديار.

ب- اللباس الشرعي للرجال والنساء:

ومن الشرائع الهامة التي يجب أن يلتزم بها المسلمون بالغرب اللباس الشرعي للرجال والنساء، لأن المظهر دليل المخبر، ولأن التمايز بين أمة الإسلام وأمم الكفر واجب ولازم، فقد نهينا أن نتشبه بالكفار في دينهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تخالف دين الإسلام، فيجب أن يكون للرجال المسلمين ما يميزهم عن الكفار ولا يجعلهم مثلهم في مظهرهم.

وأما النساء، فإن الحجاب الشرعي لازم في حقهن، لأنه دليل العفة والطهارة وشعار الدين كما قال تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً}، ولقوله سبحانه وتعالى: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن..} الآية.

والمواصفات التي يجب أن يكون عليها لباس المرأة المسلمة كما يأتي:

- أن يكون ساتراً لجميع البدن ما عدا الوجه والكفين، فإنه يجوز للمرأة كشفهما، وإن سترتهما فهو أولى وأفضل.

- أن يغطي خمــار المــرأة على رأســها جميع شــعرها وعنقها ولا يظهر إلا صـفحة الوجه فقـط، لقوله تعـالى: {وليضـربن بخمـرهن على جيـوبهن}، والخمـار هو غطـاء الـرأس والجيب شق الثـوب الـذي يـدخل منه الـرأس، والمعـنى أن تلف المــرأة الخمــار على الــرأس والعنق حــتى يغطي فتحة الصدر والعنق.

- لا يجوز أن يكون ثوب المرأة وخمارها زينة في نفسه، كـأن يكـون ملونـاً بألوان تجذب النظر أو موشى برسوم أو نقوش أو غير ذلك مما هو زينة.

- لا يجوز أن يكون لباس المرأة المسـلمة مشـابهاً للبـاس الكـافرات، نحو لباس الراهبات مثلاً بل يجب أن تمتاز المرأة المسلمة بلباسـها عن لبـاس الكافرات.

- لا يجوز أن يكون اللبـاس كـذلك مطيبـاً مبخـراً، لأن إظهـار الزينة الخفية محــرم، كما نهيت المــرأة أن تظهر صــوت الحلي، كما قــال تعــالى: {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}.

ج- لا زواج من الكتابيات إلا وفق الشريعة الإسلامية:

وقد أباح الله سبحانه وتعـالى الـزواج من الكتابية "اليهوديـة، والنصـرانية"، كما قال جل وعلا: {اليوم أحل لكم الطيبـات وطعـام الـذين أوتـوا الكتـاب حل لكم وطعـامكم حل لهم والمحصـنات من المؤمنـات والمحصـنات من الــذين أوتــوا الكتــاب من قبلكم إذا آتيتمــوهن أجــورهن محصــنين غــير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله..}.

وهذه الآية مخصصة لقوله تعـالى: {ولا تنكحـوا المشـركات حـتى يـؤمن}، فالكتابية في العموم مشركة لقول اليهود عزير ابن الله، ولقــول النصــارى المسيح ابن الله،.. وعلى هذا مضى إجماع الأمة،.. ولكن الزواج من كتابية قد شـرط الله له شـرط الإحصـان، وهو العفـاف.. فالكتابية غـير العفيفـة، والتي ترضى على نفسـها الزنـا، ولا تـرى به بأسـاً، فلا يجـوز الـزواج بهـا.. والظـاهر أن من رضـيت بزنا دون زنا الفجـر، كحل المراقصـة، والخلـوة، ونحو ذلك من الأجنبي، فهي غير عفيفة، ولا يجوز الاقتران بها.

وكذلك يجب أن ينظر كذلك إلى المصالح والمفاسد الشرعية، فـإن المبـاح إذا غلبت مفسدته لظرف من الظروف، قد يتحـول إلى الحـرام، ومن أجل ذلك منع عمر بن الخطاب من الزواج باليهوديات، كما هي رواية حذيفة بن اليمان في ذلك، خشـية أن تـترك المسـلمات، وخشـية أن يقع المسـلمون في زواج المومسات منهن (المحلى11 صفحة12)، وهذا الذي خشيه عمر بن الخطاب رضي الله تعـالى عنه هو أشد في زماننـا، فإنه في وقت عمر رضي الله عنه، كان بالمسلمين عزة وهم الفاتحون، والمسـلمون معـتزون بدينهم، والنصارى واليهود أذلة صاغرون مهزومــون أو دافعــون للجزية عن يد وهم صـاغرون، وكـذلك فيهم عفـاف كثـير، أما اليـوم فالمسـلمون أذلة مغلوبون والنصارى واليهود أعزة غالبون، والعفيفات من أهل الكتاب اليوم قليلات، ثم إن كثيراً ممن يسمون بأهل الكتاب اليوم لا ديـنيون لا يؤمنـون بتـوراة ولا بإنجيل ولا ببعث بعد المـوت، ومثل هـذه يحـرم قطعـاً الارتبـاط والزواج بها.

وللأسباب السابقة فإننا نوصي كل مسلم في الغرب، ألا يقدم على الزواج من كتابية إلا بالشروط الشرعية في ذلك، وهذه الشروط هي:

1- أن تكـون كتابية بالفعـل، أي مؤمنة بكتـاب ديانتهـا: التـوراة والإنجيـل، متمسكة بما تأمر به الشريعة التي تؤمن بها.

2- أن تكون عفيفة تحرم الزنا على نفسها، ولا تراه مشـروعاً لغيرهـا، لأن تحريم الزنا قد جـاء في كل شـرائع الأنبيـاء، وهو من المعلـوم في كل دين بالضـرورة، فـإن كـانت لا تـرى بأسـاً فهي فاسـقة غـير محصـنة لا يجـوز الاقتران بها ولو كانت كتابية بل لو كـانت مسـلمة ولا تـرى بالزنا بأسـاً فلا يجوز الزواج بها لقوله تعالى: {الـزاني لا ينكح إلا زانية أو مشـركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك..}.

3- أن تكون ممن تريد الـزواج لأهدافه في العفة والاسـتمتاع، والإحصـان.. والأولاد، وليست من اللاتي يـردن الـزواج مخاللة وصـحبة فقط كما قـال تعالى: {محصنين غير مسافحين}.

فلا يجـوز الـزواج من كتابية إلا بنية الإحصـان، وهو حفظ الفـرج بـالزواج، وليس لمجـرد المخاللة والاسـتمتاع الـذي هو بمعـنى السـفاح (السـفاح: الزنا).

4. جعل اللغة العربية هي اللغة الأولى:

من الأولويات لكل مسلم في الأرض، وللأقليات المسـلمة الـتي تعيش في الغـرب، أن تكـون اللغة العربية هي لغتهم الأولى، مهما كـانت اللغة الـتي نشئوا عليها، وذلك أن اللسان العربي يرتبط بالإسـلام ارتباطـاً عضـويا، ولا ينفك عنه، فلا فهم حقيقياً للإسلام إلا بفهم وتعلم اللغة العربية، إذ هي لغة القـرآن والسـنة، ولغة أمهـات الكتب في الـدين الإسـلامي، ومهما حاولنا ترجمة معـاني القـرآن، ومعـاني السـنة إلى لغة أخـرى، فإنها لا يمكن أن تقـوم مقـام العربية في معرفة إعجـاز القـرآن الكـريم، ومـرامي وفحـوى الحـديث النبـوي، وحقـائق العلـوم الإسـلامية، ثم إن تعلم اللغة العربية قد أصبح يعني الانتماء إلى أمة الإسلام بعد أن أصبحت العربية شعار الإسـلام، ولغة القرآن.

وتعليم ناشـئة الإسـلام اللغة العربية سـتعطيهم المفـاتيح لفهم القـرآن والسنة، وأحكام الشريعة الإسلامية، وسيجعلهم بالضـرورة أعضـاء وأجـزاء من الجسم الإسلامي، والجهل بهذه اللغة سيجعل دائماً بين جاهلها والدين الإسـلامي حـاجزاً وحجابـاً، ثم إن الناشـئة الـذي سـيكتفون بلغة غـير لغة القرآن سـتكون قـراءتهم وثقـافتهم واطلاعهم في إطـار هـذه اللغة فقـط، وبـذلك سينشـئون على الثقافة والآداب الـتي تسـود فيهـا.. ومعلـوم أن الثقافات والآداب لجميع اللغات الأخرى ثقافـات وآداب غـير إسـلامية، مما يجعل الفرد يشرب بالضرورة النمـوذج الآخـر، فمن لا يعـرف إلا الإنجليزية مثلاً وتصبح هي لغة حديثة، ولغة تعليمية ولغة ثقافته وإطلاعه، فإنه لو كان مسلماً وملتزماً فإن جانبـاً عظيمـاً من حياته سيشـكله ما يقـرأه من هـذه اللغة التي كتب آدابها، ومراجعها أناس على غير الإسلام.

والخلاصة أن اللغة العربية هي الخطوة الأولى الأساسية نحو الإسلام فهماً وعملاً، وهي ركن أساسي في الـولاء للـدين، والانتمـاء إلى أمة الإسـلام، وهي عند من يقدرها جانب كبير من الاعتزاز بالإسلام وصدق الانتماء إليه.

ولـذلك يجب على الأقليـات الإسـلامية من أي جنس ولغة أن يتحولـوا إلى اللغة العربية لتكـــــون لغتهم الأولى قبل لغتهم القومية وقبل لغة القطر والبلد الذي هاجروا إليه أو وجدوا فيه لسبب أو لآخر.

هذا فيمن نشئوا وترعرعوا من جنس غـير عـربي، أما العـرب المسـلمون، الذين هاجروا إلى الغرب، فهجروا لغتهم العربية وقطعوا صلتهم بها فـإنني أرى أن هذا يكافئ الردة ويماثلها.. فمن تركها ازدراء لها، وإعجابـاً بغيرهـا، فقد يكـون مثل هـذا ردة وكفـر، ومن تركها لتركه للإسـلام، فهو كـافر، وللأسف إن كثيراً من أبنـاء العـرب المسـلمين الـذين هـاجروا إلى الغـرب تركوا لغتهم ازدراءً واحتقاراً لها.

يقول صاحب (الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية): "نتيجة احتكـاك أبنـاء المغتربين المسلمين بأبناء البلاد التي نزلـوا إليهـا، وانتسـابهم لمدارسـهم، سادت البرتغالية والأسبانية البيت العربي، وغدا الأبناء يجهلون لغة السـلالة التي انحدروا منها، وتاريخ الأمة الـتي ينتمي إليها آبـاؤهم، وفي هـذه الحالة نجد فارقـاً شاسـعاً بين المهـاجر العـربي، وغـيره من المهـاجرين الـذين يفرضون على أبنائهم في سن معينة تكلم لغة السلالة الـتي ينتمـون إليهـا، وبعد أن يلمـوا بلغتهم كتابة وقـراءة وتكلمـاً، في مـدارس خاصة بتلك الجاليات، يأذن الآباء للأبناء بأن يتعلموا لغة البلاد التي نزلوهـا، على عكس حالة الطفل العربي الذي لا يفقه من لغة والديه سـوى بضع كلمـات عربية مشوبة برطانة أعجمية" أ.هـ.

ويورد البـدوي الملثم حادثة تـدل على تمسك أخس شـعوب الأرض بلغتهم وتخلينا عن لغتنا بما فيها من جمال وروعـة، فيقـول: "روى لي مغـترب أنه عاش مع أسرة يهودية، وذات يوم عاد إلى المـنزل ليجد رب الـبيت ينهـال بالضـرب على ابنه ويفـرض عليه الوقـوف في زاوية الـبيت رافع اليـدين منتصباً على ساق واحد.

فسأله: ما باله يبكي؟

فأجاب اليهودي: كلب يستحق القصاص، إنه ولد عنيد متمـرد، فكم نصـحته ألا يكلم إخوانه إلا بالعبريـة، ولكنه يحـدثهم بالبرتغاليـة، وخشـية أن تفقد العبرية مكانتها الأولى في البيت، نال هذا الجزاء" (مجلة البحوث الإسلامية 22/257 نقلاً عن كتـاب النـاطقون بالضـاد في أمريكا الجنوبية صـفحة 246).

5- وجوب إنشاء تعليم خاص للناشئة إلى سن البلوغ:

ومن أولى الأولويـات للأقليـات الإسـلامية في الغـرب، أن يكـون لأبنـاء المسلمين ذكوراً وإناثاً تعليمهم الخاص إلى ما بعد البلوغ.

فهذه السن منذ الولادة إلى البلوغ هي السنوات الأساسية من العمر الـتي تغرس فيها الأخلاق، والمبادئ والعقائد، والـتي تتشـكل فيها نفس الإنسـان

وروحه ويوضع الإنسان فيها على بداية درب الحياة، فإما إلى الكفر وإما إلى الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم: [كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه].

ولا شك أن كل المحاولات للإصلاح والتغيير والتبديل التي يحاولها المربون بعد هذه السنين، يذهب كثير منها أدراج الرياح كما يقولون، ويستعصي كثير منها على العلاج.

إنسان المدرسة الغربية:

والمدرسة الغربية اليوم لا تنشيء إلا إنساناً مادياً نفعياً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يؤمن إلا بالحياة الدنيا فقط، ويتعلم كيف يستمتع بحياته إلى النهاية، وكيف يشرب كأسه إلى الثمالة، وكيف يكسب ما يقدر عليه باذلاً غاية الجهد والكدح، وينفق ما كسبه في هذه الحياة استمتاعاً ورفاهية ورضاً بالحياة الدنيا، هذا إلى استباحته كل حرام يستبيحه المجتمع، ويتعارف عليه الناس، واستعظامه أن تتدخل شريعة الله في شئونه الخاصة، أو يكون للرسل والمعلمين والمربين توجيههم العلوي، ورسالتهم التربوية..، فالفلسفة المادية الغربية اليوم تقوم على أن الإنسان سيد نفسه، ومصدر قراره، ومنبع أخلاقه، والحكم على تصرفاته، وما ارتضاه الناس فهو الشرعة وما رفضه الأغلبية فممنوع، ولا حد للتشريع ينتهي إليه، ولا غاية يقف عندها، وليس هناك ثوابت في الأخلاق والقيم، إنما الثابت الوحيد هو الحياة، والمتعة والنفع.

وهذه الفلسفة الغربية المادية هي التي على أساسها ينشأ الجيل، ويربي المربون، وتوضع المناهج لإخراج جيل يعرف الحياة، ويقهر الطبيعة -حسب تعبيرهم- ويستمتع بوجوده، ويعتقد ما يشاء، ويخضع لرأي الأغلبية فقط.. وهذا الإنسان الوجودي المادي تصنع بدايته في رياض الأطفال، وفي محضن الأسرة، ثم في جميع محاضن التربية بعد ذلك.

ولا شك أن إلقاء أبناء المسلمين في هذه المدارس والمعاهد والرياض التي تشكل عقولهم الأولى، وموازينهم، وأخلاقهم، بل وعقائدهم..، كمن يسلم قطعة من الطين إلى صانع يصنع منها تمثال خنزير أو حمار، ثم يلقيه في النار فيتحول إلى حجر صلب، ثم يأخذه بعد ذلك فإذا اكتشف الأب أن ابنه الذي كان خامة غضة طرية كقطعة الطين اللين تتشكل كما يشاء، قد أصبح حجراً صلباً على الصورة التي لا يريدها ولا يشتهيها، حاول بعد ذلك تغييرها وتبديلها إلى صورة أخرى، وهيهات، فإما أن تتحطم في يديه، وإما أن يغير فيها بعض الرتوش والألوان، والمظاهر الخارجية ويبقى التمثال هو التمثال!!!

إن هذا مثال يقرب إلى الذهن ما يفعله أولياء الأمور عندما يسلمون أبناءهم إلى مدراس الغرب الملحد المادي، ثم بعد استعادة هؤلاء الأولاد بعد البلوغ، يطلع منهم على نموذج آخر تماماً غير الذي تمناه وأراده من ابنه أو ابنته..

وكثير من المعلمين والمربين الذين مارسوا التربية والتعليم في بلاد الغرب، قد أدركوا خطورة تعليم أبناء المسلمين في هذه المدارس، وكتبوا

المطـولات عن هـذه المخـاطر، وناشـدوا المسـلمين أن يقومـوا بإنشـاء المدارس الخاصة لأولادهم، وخاصة في مراحل التعليم الأولى.

يقول أحد القـائمين على التعليم والـدعوة في ألمانيـا: "إن التعليم إلـزامي هنا حتى سن السادسة عشر، وهو كـذلك مختلـط، وكـذلك دروس الرياضة والسباحة مختلطة، وتكون بملابس ساترة للفرج والثـديين فقـط، والطامة عند تـدريس مـادة (الـبيولوجي) الـتي يتم تدريسـها من بداية الصف الرابع ابتدائي.. حيث يعـرض المدرسـون فلم فيـديو لرجل يجـامع امـرأة بشـكل مثير جداً ويتم تصوير الرجل والمرأة من بداية تعريفهما على بعضهما حتى تحمل وتلـد..، وأن مثل هـذه الأمـور تقلق أهـالي الأولاد وتجعلهم يفكـرون في إقامة المدارس الأهلية الخاصة، ولكن سـرعان ما تـزول هـذه الفكـرة عندما يعرفـون ما يـترتب عليها من نفقـات مادية - والله المسـتعان" (من تقرير عن أحوال الجاليات الإسـلامية في ألمانيـا، مرسل إلى جمعية إحيـاء التراث الإسلامي)، ولا شك أن كثيراً منالمسلمين غـير مـدركين للمخـاطر العظيمة من إلحاق أولادهم بمدارس الغرب.

ويقول صاحب كتاب السوريون في أمريكا: "أما المسـلمون الـذي هـاجروا إلى أمريكا فتجدهم أقل إدراكاً لخطـورة المـدارس الأمريكيـة، هنـاك عـدد قليل من الأطفال السوريون يؤمـون المـدارس الخاصـة، وغـالبيتهم تفضل المدارس العامة، وقد صرح أحد أولياء أمور الطالبات أنه يريد إرسال ابنته إلى المدارس الخاصة لأن المدارس العامة تدرس الرقص".

ولا يســـتويان، لا يســـتوي من يريد أن يرسل ابنته إلى المدرسة الخاصة تهرباً من حصة الرقص، بمن يريد أن يفر إلى المدرسة الإسلامية لأنه خـبر ما في المدرسة الأمريكية من فسق وفجور، ومن زنا، ولواط، ومن شـرط للخمور وتدخين للحشيش والماريجوانا بين الطلاب أنفسهم من جهة، وبين الطلاب ومعلميهم من جهة أخرى، ولعل من لا يعرف المدرسة الأمريكيــة، وهي صورة صادقة لـذلك المجتمـع، بحاجة إلى أن يعلم بعضـاً من الآفـات الخطيرة التي تفوح رائحتها من المدرسة الأمريكيـة، فعلى سـبيل المثـال، حـــوكم معلم في ديـــترويت لأنه وجد يلـــوط بأحد الطلاب في مكتبه في المدرسة، ولدى استجوابه اعترف بأنه الطالب رقم (36) الــذي يفعل معه فعلته النكـراء تلك في ذلك العـام، واكتفى مـدير المدرسة في (آن آربـر) بتنبيه مجموعة من الطلاب تتعاطى الحشـيش في مكـان غـير مسـموح به في المدرســـة، وطلب إليهم عـــدم تكـــرار ذلـــك، واغتصب مجموعة من الطلاب معلمتهم داخل حجــــرة الصف وعلى مـــرأى من ســـائر الطلاب والطالبـات، فما كـان من تلك المعلمة إلا أن رفعت قضــية تطـالب فيها الحكومة بمليون دولار (مجلة البحوث الإسلامية -عدد22 -صفحة265).

6- حماية الأقليات الإسلامية:

الأقليات الإسلامية في الغرب كـانت على الـدوام معرضة لأحد الخطـرين: التــذويب أو الإبــادة، أم التــذويب فهي عملية ســلخ من الــدين والمعتقد والانتماء للأمة الإسلامية وفي ظل العقيدة الشيوعية مثلاً، كان المسـلمون يجبرون على تـرك دينهم، ولغتهم، وأسـمائهم الإسـلامية، بل ويمنعـون من نصب شاهد على قبورهم يشير إلى أن هذا قـبر مسـلم.. وقد كـان تـداول

المصحف، والكتاب الإسلامي عملاً يجرمه القانون بالقتل أحياناً.. وفي ظل الديمقراطية الغربيـة، كـان ضـغط المجتمع ومحاصـرة الفسـاد للأسـرة المسلمة عوامل ضاغطة من أجل تذويب الأقليـات المسـلمة في المجتمع الغربي، وأحياناً كـان القـانون كـذلك يقف أمـام اسـتعلاء وظهـور أي تمـيز إسـلامي عن المجتمع الكـافر كما حصل في فرنسا في قضـية حجـاب الطـالبتين المسـلمتين، وموقف إدارة المدرسـة، ووزارة التربية من هـذه القضية.

وبعد سقوط الشـيوعية، وتفكك الدولة الشـيوعية، وخـروج دول المنظومة الإشتراكية، ورؤية العالم الغربي أن من أهم أسباب هذا السقوط المـزري للعقيدة الشيوعية والدولة السوفيتية هو الإسلام، بدأ العـالم الغـربي يتحفز خوفاً من هذا الـدين الـذي يملك هـذه القـدرة السـحرية على إزالة الـدول الظالمـة، وهـدم العقائد الزائفة وظن أن الـدور الآتي عليـه، وأن الإسـلام قادم من الشرق، يـدمر الديمقراطية الغربية كما دمر العقيـدة الشـيوعية، وأن خيل الإسلام أضحت على الأبواب.

من أجل ذلك تعـالت الصـيحات في مكـان أن هبـوا لأن خيل الإسـلام أسرجت، وهذا الدين الزاحف سيعاود الزحف من جديد إلى الغرب.

كانت الأقليات الإسـلامية في الغـرب هي الـتي عليها أن تسـتقبل الصـدمة الأولى، وأن يكـون تفريغ الخـوف والحقد الصـليبي الـدفين فيها أولاً قبل غيرها، فالتهديد بالإبادة والإخـراج كما حـدث للأتـراك وغـيرهم في ألمانيـا، وتعقيد سـبل الحيـاة والإقامة والجنسـية والهجـرة كما حـدث للجاليـات الإسلامية في فرنسا، وبداية المضـايقات والتهديد بالفشل كما يحـدث الآن للمغتربين والأقليات الإسلامية في أمريكا، وحرب الإبادة كما هو قـائم الآن في البوسـنة والهرسـك، ومحاولة امتـداد ما يسـمونه بـالتطهير العـرقي ليشـمل جميع دول البلقـان، كل هـذا وغـيره بـدايات فقط للصـيحة الـتي أطلقها اليهـود ورددها العـالم أجمع بعد سـقوط الشـيوعية أن الإسـلام هو الخطر القادم، وأنه بعد سقوط الشيوعية لا عدو للبشرية إلا الإسلام.

لقد كـان هـذا التطـور الجديد بداية جديـدة لآلام طويلة وليل طويل ينتظر الأقليات الإسـلامية في الغـرب، وهـذا يفـرض على من يملكـون الرؤية أن ينظروا بنظر صائب في كيفية حماية وجود الأقليات الإسلامية في الغـرب، ومن أجل ذلك قلنا هـذا في هـذا البحث المتواضـع، إن حماية الأقليـات الإسلامية أصبحت أولوية من الأولويات، فمن المقترحات الـتي تطـرح الآن تمكين الأقليات الإسلامية من حمل جنسـية البلد الـتي هـاجروا إليه ليكـون لهم بـذلك الوضع القـانوني الكامل والحماية الكافية من الحكومـات ضد الفئـات العنصـرية، والصـليبية الـتي تطـالب بطـردهم، وتسـعى في قتلهم وتشـريدهم، وقد طـالب عـدد من المسـئولين في دول الغـرب بهـذا الحل (ترجمة لمقـال في كريسـتين سـاينس مونيتـور - جريـدة الـوطن الكويتية الصادرة في 24محرم1414هـ الموافق 14يوليو1993م)، وبالرغم من أن هذا الاقتراح لقي معارضة شديدة من الأحـزاب العنصـرية في أوروبـا، فهو كذلك يصـطدم بفتـاوي تشـدد النكـير على الهجـرة إلى بلاد الغـرب وحمل جنسية بلد يدين بغـير الإسـلام، فقد أجـابت اللجنة الدائمة للفتـوى برئاسة

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على سـؤال يقـول: "ما حكم الإسـلام في إمام للمسلمين في مسجد فرنسا يريد أن يبدل الجنسـية من جزائرية إلى فرنسية؟".

فأجابته اللجنة قائلة: "لا يجوز أن يتجنس باختياره بجنسية دولة كـافرة لما في ذلك من التزامه بنظمهم والتحاكم إلى قـوانينهم، وتبعيته لهم، وموالاته إياهم، ومن المعلـوم أن فرنسا دولة كـافرة حكومة وشـعباً، وأنت مسـلم، فلا يجـوز لك التجنس واصـبر واحتسب والله المسـتعان" (فتـوى رقم 4801، وتاريخها 13/8/1402هـ صـادرة عن اللجنة الدائمة للفتـوى في المملكة العربية السعودية، برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز).

وقد صدرت فتوى أخرى من اللجنة أيضاً تؤيد هذه الفتوى.

وقد اشتط بعض علماء المسلمين في هذا الأمر فقد أفـتى رئيس المجلس الإسـلامي الأعلى بـالجزائر الشـيخ حمـاني بـأن من تجنس بجنسـية دولة كافرة، فقد ارتـد، ويحـرم تزويجه بـالمرأة المسـلمة، وتجـري عليه أحكـام الـردة كاملة من حرمانه من الإرث وعـدم غسـله ودفنه في مقـابر المسلمين (نقلاً عن إعلام الأنام حكم الهجرة في الإسـلام للشـيخ أبي بكر جابر الجزائري).

وقد رد فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائـري حفظه الله على تلك الفتـوى برد طويل، لم يكتف فيه بإثبات وجهة نظـره في حكم حمل الجنسـية دولة من دول الغرب، بل تطرق كذلك إلى علاج مشكلة الأقليات الإسـلامية في دول الغرب من وجوه كثيرة، ولأن جواب الشيخ ومقترحاته عملية ومفيدة، وهو رجل خبـير بـأكبر جالية -ربمـا- تعيش في بلاد الغـرب، وهي الجالية المغربية في فرنسا، وكان دائم التردد عليهم.

وقد خبر مشكلاتهم، فإنني أحببت أن أثبت هنا كامل رده على هذه الفتـوى والحلول التي يراها لوضع المسلمين في بلاد الغرب.

"السؤال: ما هو التجنس؟

الجـواب: التجنس أن يطلب المـرء تبعية دولة من الـدول المعاصـرة، فيعطاها فيصبح تابعاً لتلك الدولـة، يجـري عليه ما يجـري على أفرادها من أحكام وقـوانين سياسـية ومالية واجتماعية في الجملة ودون تفصـيل، وبما أن العلمانية سادت أكثر دول العـالم، فـإن التـدين أصبح حـراً، فللمـواطن بالأصـالة أو التبعية أن يتـدين بما شـاء، فالمسـلم إذا حصل على جنسـية بريطانية لا يصبح نصرانياً، والبريطـاني إذا حصل على جنسـية باكسـتانية لا يصبح مسلماً، وكـذا الفرنسي إذا حصل على جنسـية مغربية أو جزائرية أو تونسية، لا يصبح مسـلماً بل يبقى على دينه الـذي اعتنقه أو ورثه عن آبائه وأجداده.

وإذا عـرف هـذا فهل يصح أن يحكم على المسـلم إذا أخذ جنسـية دولة كـافرة كأمريكا أو بلجيكا أو فرنسا أو بريطانيـا، وبقي على دينه الإسـلامي عقيدة وعبـادة، يحل ما أحل الله ورسـوله، ويحـرم ما حـرم الله ورسـوله،

هل يصح أن يحكم عليه بالكفر والردة كما حكم الشيخ حماني مفتي الديار الجزائرية؟

والجواب متروك لأهل العلم والنظر، أما أنا شخصـياً فلا أقـول بكفـره، ولا بردته وأبرأ إلى الله تعالى من أن أكفر مسلماً وأحكم عليه بالردة كما أبرأ إلى الله تعـالى ممن يكفر مسـلماً أو يحكم بردته لمجـرد أنه تـابع لدولة كافرة قانونياً، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسـول اللـه، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكـاة، ويصـوم رمضـان، ويحج بيت الله الحـرام، ويحل ما أحل الله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسـوله من المطـاعم والمشـارب والمناكح وغيرها.

وإن كان مفـتي الـديار الجزائرية يـرى أن علاج مشـكلة ملايين المسـلمين يعيشـون في ديـار الكفر هي الحكم بـالردة على من تجنس منهم بجنسـية دولة كافرة، فأنا لا أرى هذا علاجاً أبـداً، بل أراه زيـادة في تعقيد المشـكلة واستعصاء حلها إن أريد لها ذلك.

إن حل هذه المشكلة يكون باتخاذ ما يلي وهو:

إرجاع كل مسلم في بلاد الكفر إلى بلاده الإسلامية، وبتهجير من أسلم في بلاد الكفر إلى البلاد الإسلامية، وبتهجير من أسـلم في بلاد الكفر إلى البلاد الإسـلامية، وهنا يطـرح هـذا السـؤال: هل في الإمكـان إرجـاع المهـاجرين وتهجير من أسلم من الكافرين إلى بلاد المسلمين؟.

وإذا كان الجواب: إن هذا من غير الممكن اليوم وغـير متـأت أبـداً، فما هو الحل إذاً يا ترى؟

الجواب: إن الحل لهذا المشـكل العـويص ليس في الحكم بـردة المتجنس كما يرى مفتي الجزائر الشيخ الحماني، وإنما هو اتبـاع ما يلي: وهو تكـوين لجنة عليا يتكـون أعضـاؤها من كافة البلاد الإسـلامية تحت عنـوان اللجنة العليا لرعاية المهـاجرين، وتكـون لها ميزانية يسـهم فيها كل بلد إسـلامي بقدر معين من المـال بحسب حـال البلد قـوة وضـعفاً، وتتلخص مهـام تلك اللجنة فيما يلي:

1- بناء مساجد لهم يصلون فيها ويتعلمون الضروري من دينهم الإسلامي.

2- تعمير تلك المساجد بالأئمة الأكفاء القادرين على تربية إخـوانهم روحيـاً وسلوكياً وتزويدهم بالكتاب الصالح النافع الذي يجمع ولا يفـرق ويهـدي ولا يضل كمنهاج المسلم للجزائري.

3- العمل على توحيد المهـــاجرين في البلد الـــذي هم فيه بحيث تنعـــدم الفوارق بينهم ويصبحون جماعة واحدة ليس لها انتمـاء إلا إلى اللجنة العليا لرعاية المهاجرين.

4- إيجـاد تعليم لأبنـاء المهـاجرين يتناسب مع ما لـديهم من وقت يتعلمـون فيه ما لا بد منه من العقيدة والعبـادة والخلق والأدب، مع اللغة العربية لغة الكتاب والسنة.

5- العمل على إيجاد تعاون بينهم يثمر ما يلي:

أ) وجود مجزرة ومقبرة ليـأكلوا الحلال من اللحـوم، وليقـبروا موتـاهم في مقابر خاصة بهم.

ب) تكوين لجنة من ثلاثة علماء في كل بلد فيه مهاجرين مهمتها:

- إصلاح ذات البين بين أفراد المهاجرين المسلمين، ليتحاشوا التحـاكم إلى محاكم غير إسلامية.

- عقد النكــاح بين الــزوجين وتقرير فرقة الطلاق بينهما إذا خيف الضـــرر عليهما أو على أحدهما، وتعذر الإصلاح برفع الضرر.

- قسـمة كل مسـلم تركته وهو حي على ورثته وكتابة صك بـذلك حـتى إذا مـات نفذ ما في الصك كأنه وصـية وحـتى لا تتـدخل السـلطة الحاكمة في تقسيم التركة حسب قوانينها.

- إيجـاد قـانون مـالي بينهم وذلك بإنشـاء مصـرف للإيـداع والإنمـاء وفق الشريعة الإسلامية التي تحرم الربا وتبيح الربح بالتعاون المشروع.

هــذا هو الطريق لحل مشـــكلة المهــاجرين في بلاد الكــافرين، فهل في الإمكان سلوكه إنقاذاً لملايين المسلمين من الـذوبان في مجتمعـات الكفر والإلحاد وأداءً لواجب الدعوة إلى الإسـلام وفي وقت الـدعوة فيه لا تكلف عرقاً ولا دماً إذ لم تزد على الدينار والصدق في جمعه وصرفه لا غير.

فهل الشيخ حماني مفـتي الـديار الجزائرية عفا الله عـني وعنـه، أن ينهض بهذا الواجب، ويطوف بـالبلاد الإسـلامية مطالبـاً بتكـوين هـذه اللجنة العليا لرعاية المهاجرين لإنقاذ المسلمين المهاجرين من الذوبان في ديار الكفـر، لأداء واجب الدعوة إلى الإسلام التي تخلى عنها المسلمون متناسين قــول الله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعـني}، فهل اتباعه صلى الله عليه وسلم غير أفراد أمته؟ آه ثم آه وإن كان التـأوه غير نافع يا عباد الله!!.

وقبل أن ينهض المســـلمون بهـــذا الـــواجب، وهو حل مشـــكلة ملايين المهاجرين في ديار الكفر أقدم فتواي التي أراها حلاً جزئياً للمشكلة وهي أن على المسلمين المهاجرين العودة إلى بلادهم فوراً إذ هجرتهم ما كانت فراراً بدينهم، ولا كانت إلى دار إسلام، بل كانت إلى دار كفر، وقد تسـببت هجـرتهم في ضـياع دينهم أيضـاً فلا يسـعهم البقـاء على هـذه الحـال إلا بالإلتزام بما يلي:

1- أن ينووا الرباط في سبيل الله، وذلك بتكثير سواد المسـلمين في ديـار الكافرين.

2- أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

3- أن يصـححوا عقائـدهم، ويعبـدوا ربهم بما شـرع لهم، ويهـذبوا أخلاقهم ويكملـوا في آدابهم لتكـون دعـوتهم بالحـال، وهي أنفع من دعـوة القـال باللسان وليعلموا أن هـذا لا يتم إلا بوجـود علمـاء صـالحين يربـونهم عقائد وعبادات وأخلاقاً وآداباً فليطلبوا هؤلاء العلماء وليطيعــوهم طاعة كاملة ما أمروهم بالمعروف ونهـوهم عن المنكـر، فـإذا فعلـوا هـذا وتحقق لهم فهم

مرابطـون في سـبيل الله ولهم أن يأخـذوا جنسـية الدولة الـتي هم فيهـا، سواء كانوا مهاجرين أو مواطنين على شرط أن يكـون التجنس -وهي غـير التدين قطعيـاً- مسـاعداً لهم على دعـوة الإسـلام الـتي هم مرابطـون من أجلها.

هـذه فتـواي والله أسـأل أن تكـون مرضـية له عز وجـل، نافعة لعبـاده المؤمنين، وأن لا يحرمني أجر اجتهادي فيها آمين.

وسـلام على المرسـلين والحمد لله رب العـالمين" (إعلام الأنـاة بحكم الهجرة في الإسلام للشيخ أبو بكر الجزائري صفحة 40-47).

ولا شك أن ما ذهب إليه فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائـري حفظه اللـه، حق في أن هـذه المعضـلة ليست معضـلة فـرد واحد أو مجموعة من الأفـراد يفتي لهم، وإنما هي معضلة لا تعالج مطلقاً مشـكلة هـؤلاء الملايين الـذين ارتحلـوا إلى الغـرب بنوايا مختلفـة، وأصـبح لهم واقع غاشـم، وكثـير منهم مسـلمون ملـتزمون بالإسـلام عقيـدة وشـريعة حسب اسـتطاعتهم، ثم إن هنـاك أيضـاً الأقليـات الإسـلامية من أهل البلاد الأوروبية والأمريكية الـذين تحولـوا إلى الإسـلام كالشـعوب الإسـلامية في أرض البلقـان والمسـلمين السـود في أمريكـا، وعشـرات الألـوف بل مئـات الألـوف من الأوروبـيين والأمريكيين أصلاً الذين دخلوا في الإسـلام.. وهـؤلاء جميعـاً إطلاق القـول فيهم بـأن التجنس بجنسـية دولة كـافرة حـرام أو ردة وكفـر.. فيه تعميم خاطئ، وهو حكم لا شك يخالف الحق..

ومن أجل ذلك يجب النظر بعمق ودراسة كل شـــــريحة من شــــــرائح المسلمين الذين يعيشون في الغرب، والنظر في أوضاعهم وفق المـوازين الشرعية من أعمال النصوص، وتطبيق قاعدة المصالح والمفاسد، ويحسن في هذا الصدد إيراد فتوى الشـيخ عبـدالرحمن بن ناصر السـعدي -رحمه الله- في وجوب سعي المسلمين الذين يعيشون في كنف الـدول الكـافرة إلى روابط يسـتطيعون بها إقامة شـرائع دينهم، حيث يقـول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ولـولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز} الآية.

قال رحمه الله في الفوائد المتحصلة من هذه الآية:

"ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، وقد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم، بسبب قبيلتهم وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب، رجم قومه، بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسـلام والمسـلمين، لا بالسـعي فيهـا، بل ربما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب، حسب القـدرة والإمكـان، فعلى هـذا، لو سـعى المسلمون الـذين تحت ولاية الكفـار، وعملـوا علي جعل الولاية جمهوريـة، يتمكن فيها الأفراد والشـعوب، من حقـوقهم الدينية والدنيويـة، لكـان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملة وخدماً لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم" (تفسير عبدالرحمن ناصر السعدي (2/289)).

قلت: "وأنت ترى هنا أن مدار هذه الفتوى وهذا الاستنباط من الآية الكريمة على القاعدة الفقهية (ارتكاب أخف الضررين)، فلأن يسعى المسلمون ليكون لهم شركة في الحكم مع الكفار يصونون بذلك أعراضهم وأموالهم ويحمون دينهم، خيراً ولا شك مما أن يعيشوا تحت وطأة الكفار بلا حقوق تصون شيئاً من دينهم وأموالهم" (مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية، وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة لعبدالرحمن عبدالخالق (صفحة64-65)).

خلاصة البحث

يتلخص لدينا مما قدمناه في هذا البحث النقاط الآتية:

أولاً: مقدمات ومعلومات عامة:

1- يعيش المسلمون في العالم اليوم إما أغلبية عددية مع أقليات غير إسلامية، وإما أقلية عددية في دول غير إسلامية، وهؤلاء عدة مئات من الملايين.

ويعيش في الغرب وحده أوروبا وأمريكا أكثر من عشرين مليوناً من المسلمين على أقل التقديرات.

2- أسباب وجود الأقليات الإسلامية في الغرب كثيرة، منها: دخول من دخل الإسلام حال قوة المسلمين الأولى، كما هو واقع أرض البلقان (البوسنة والهرسك - المجر - بلغاريا) والهجرة إلى الدول المستعمرة من المستعمرات، كهجرة الجزائريين والمغاربة إلى فرنسا، والهنود والباكستانيين إلى بريطانيا، واستعانة ألمانيا بالأتراك بعد الحرب العالمية الثانية من أجل الإعمار.. وكذلك دخول بعض الأوربيين إلى الإسلام، وهجرة بعض المسلمين من أجل الدنيا، والإعجاب بحياة الغرب والهجرة فراراً بالدين، والتماس الأمن..

3- تتعرض الأقليات الإسلامية في الغرب، إلى خطرين أساسيين وهما التغريب والتذويب، وكذلك الإبادة والطرد والتشريد، والخطر الثاني هو الخطر المرشح للمرحلة القادمة.

4- هناك أسباب كثيرة أدت إلى تدهور أحوال الأقليات الإسلامية في الغرب، أهمها:

أ) عدم وجود خلافة إسلامية تحمي المسلمين وتدافع عنهم، وتطالب بحقوقهم، وتستعد للنفير للدفاع عنهم إذا تعرضوا للاضطهاد أو الإبادة أو الإذلال.

ب) شعور المسلمين بالدونية والصغار أمام قوة الغرب وجبروته وتقدمه.

ج) اعتزاز الغرب بصليبيته وقومياته، وتخوفه الـدائم من الإسـلام، وتوجسه من وجود الإسلام على أرض أوروبا.

5) أعــداد المســلمين في الغــرب في نمو مطــرد، وذلك بفعل الهجــرة المستمرة والزيادة في عدد المواليـد، واسـتمرار دخـول أعـداد كثـيرة من الشعوب الغربية إلى الإسلام، وتنامي الصحوة الإسـلامية في أواخر القـرن الرابع عشر الهجري، وأوائل القرن الخامس عشر، وكل هذه الأمــور زادت من مخاوف الغرب نحو الإسلام.

6- تنـامي الصـحوة الإسـلامية في مكـان، وبـروز الإسـلام كقـوة عالميـة، وإطلاقه الرصاصة الأولى الــتي كــان من آثارها إزالة الدولة والعقيـــدة الشـيوعية، كل ذلك جعل الغـرب يخشى عـودة الـروح الإسـلامية، وبداية انطلاق الإسلام من جديد لفتح أوروبا، ومن أجل ذلك بـدأت صـيحة الغـرب نحو الإسلام، وبعثه للروح الصليبية، والمبادئ العنصـرية والقوميـة، وبـدأت تبعاً لذلك المواجهة مع الأقليات الإسلامية.

ثانياً: أولويات العمل الإسلامي في الغرب:

الأقليـات الإسـلامية في الغـرب تحتـاج إلى عمل وإنقـاذ سـريع من أجل الحفاظ على بقائها، ودينها وعقيدتها، ومن ذلك:

1- بعث روح الأمة الواحـــدة، والجسد الواحد في جميع المســـلمين على ظهر الأرض، وتثبيت عقيدة الـولاء لكل مسـلم في موقـع، والـبراء من كل كـافر في أي موقـع، والعمل لتكـون هـذه العقيـدة عاملة فعالـة، وليست مجرد صيحة قوالة.

2- تعزيز الانتمـاء إلى الأمة الإسـلامية العظيمة خـير أمة أخـرجت للنـاس، وتثـبيت المعتقد الإسـلامي الـذي يشـعر المـؤمن بعـزة الإسـلام، وشـرف الانتماء وحلاوة الإيمان، ولا يكون ذلك إلا بتعلم العقيدة الصـحيحة، ومعرفة ما يضادها من العقائد الباطلة، وتقدير نعمة الهداية، وأخذ الدين عن عقيدة وبرهــان واقتنــاع، وإيمــان، وفــرض دراسة العقيــدة النصــرانية على وجه الخصوص، إذ هي العقيدة التي سيثمر الصـراع بينها وبين الإسـلام إلى آخر الــدنيا، والتمسك بشــرائع الإســلامية جميعها وخاصة الصــلاة واللبــاس الشرعي، واللحم المذكى، وقصر الزواج من المسلمات أو الكتابيــات على العفيفات المحصنات.

3- جعل اللغة العربية هي اللغة الأساسية لكل مسلم مهما كـانت جنسـيته ومنشـؤه، والحـرص على تعلمها منذ الصـغر، وإعطـاء هـذه اللغة منزلتها الحقيقية من الــدين، وكونها من ضــروريات الإســلام، وما لا يتم الــواجب الديني إلا به..

4- تثبيت عقيدة أن كل مسلم يجب أن يكــون داعية إلى الله في أي موقع فيه: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، وجعل الدين هو غاية الحياة والوجود: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

5- ربط الدعوة إلى الإسلام بمنهج أهل السـنة والجماعـة، وعمل الصـحابة وفقههم، والتحذير من كل انحراف عن منهج الطائفة الناجيـة، وهـذا يعـني حـرب الفـرق والطوائف الضـالة الـتي هي من فـرق الزنادقة والمنـافقين وكذلك محاربة البدع العقائدية الخمس المعروفة، وهي: الخروج، والرفض، التجهم، القدر، والإرجاء.

6- محاولة دمج الأقليات الإسـلامية في كل بلد غـربي في نسـيج واحد عن طريق ما أسلفناه من الـدعوة إلى الأمة الواحـدة، وعقيـدة الـولاء والـبراء والحـــرص على أن تكـــون اللغة العربية هي لغة الخطـــاب الأولى، ثم عن طريق التعـارف والـزواج والمسـاجد الجامعـة، والنـدوات والمحاضـرات، والـرحلات وكسر طـوق العزلـة، والانطـواء الـتي تمارسه بعض الجاليـات والأقليات الإسلامية.

7- الاهتمام بالتعليم الإسلامي منذ رياض الأطفال وحتى البلـوغ، والحـرص أن يكون للمسلمين مدارسهم الخاصة في هذه السن الحرجة التي نغـرس فيها المبادئ والقيم والعقائد التي تشكل بعد حياة الإنسان.

8- السعي للحفاظ على الوجود الإسلامي في أوروبا، وتثبيت هـذا الوجـود، وامداده بكل مقومات الصمود والبقـاء والـدفاع عن المسـلمين هنـاك بكل قـــوة، فـــدول الأغلبية العددية كألبانيـــا، والبوســـنة والهرسك يجب تقويتها وتسـليحها للـدفاع عن نفسـها، ويجب أن يهب المسـلمون في كل مكـان للدفاع عنهم..

وأما الدول التي فيها أقليـات إسـلامية، فيجب أن ينظر ليكـون للمسـلمين حقـــوقهم السياســـية وحيـــاتهم الدينية والتعليمية والاجتماعية الخاصـــة، ويتمكنـوا من إظهـار دينهم، واتبـاع شـريعتهم بل والـدعوة إلى معتقـدهم الحق.

9- إيجاد هيئة عليا تعني بشئون المسلمين في الغرب، ويكون من أهدافها:

التنســـيق بين عمل اللجـــان الخيرية والدعوية العاملة في مجـــال الإغاثة والدعوة، ليكون عملها مثمراً موجهاً، وتزويدها بأوضاع الجاليات الإســلامية ومشكلاتها أولاً بأول.

10- إيجــاد هيئـات علمية شــرعية متخصصة تعـني بفقه الجاليــات، وحل المشكلات التي يواجهونها على ضوء الكتاب والسنة، ومعرفة الواقع القائم الآن، ورسم السياسات الشرعية التي يكون بها الحفـاظ على إسـلام هـذه الجاليات، وحمايتها من الردة والذوبان، أو الهلاك والإبادة.

11- السـعي ليكـون للجاليـات والأقليـات الإسـلامية في الغـرب اقتصـادها الإسلامي الذي يكفل لها الحياة الشرعية الكريمة، والاستقلال المادي بـدلاً من أن يعيش كثير من المسـلمين على إعانة الـدول الكـافرة، أو ممارسة الربا والبغاء والمقامرة أو الأعمال الحقيرة.